في قاعة الاتحاد العام للأدباء والكتاب

جلسة استذكارية للراحل د. عبد الاله احمد

رحلة ذكريات مع الناقد الراحل قام بها : د. داود سلوم - د. علي عباس علوان - د. مالك المطلبي - أ. فاضل ثامر - جهاد مجيد - د. نادية غازي العزاوي

أقام نادي القصة في قاعة الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق وبحضور عدد كبير من الأدباء والكتاب والمثقفين ، جلسة استذكارية مميزة عن رحيل الناقد والاكاديمي عبد الاله احمد. الذي توفي في السادس عشر من شهر مايس ٢٠٠٧ ، وبرحيله يكون النقد السردي العراقي الحديث والدرس الاكاديمي وكذلك الحركة الادبية والثقافية قد فقدت واحداً من اعمدتها البارزين إذ اشرف طوال حياته الاكاديمية على الكثير من الدراسات والبحوث التي أغنت هذا الجانب فكراً علمياً رصيناً ، فضلاً عن ذلك. فقد كان للراحل دور ريادي في توثيق وارشفة الفن القصصي في العراق من خلال مؤلفاته "نشأة القصة العراقية" ، و "الادب القصصي العراقي" و"فهرست القصة العراقية" اضافة الى العديد من الدراسات والبحوث والمقالات في ميدان السرد العراقي الحديث قدم للجلسة ودار محاورها القاص والروائي جهاد مجيد ، وبمشاركة الدكتور داود سلوم والناقد الدكتور علي عباس علوان والدكتور مالك المطلبي والدكتورة نادية العزاوي والناقد فاضل ثامر .

جمال كريم

جهاد مجيد
وفي بداية الجلسة تحدث القاص والروائي جهاد مجيد بالقول :

برحيل د. عبد الاله احمد تكون الثقافة العراقية والعربية قد فقدت واحداً من النقاد الأكاديميين البارزين، الذين تركوا آثاراً مهمة في ميدان النقد العراقي الحديث، دأب الراحل، أن يشتغل على دراساته وبحوثه ومقالاته وأرشفاته، لا بعقلية المؤرخ، بل بعقلية المستنتج والمحلل.
ومعروف جداً أنه كان مخلصاً لا فكاره وحريصاً على الادلاء بها لم تأخذه الموجات، كما لم يغادر مواقعه الأولى، وهذا امر نتفق عليه، فقد ظل أميناً لمواقفه ومنظوراته.

ذكريات د. علي عباس علوان

وتحدث الناقد الدكتور علي عباس علوان رئيس جامعة البصرة عن تجربة الراحل البحثية والنقدية مستذكراً معاناته اليومية ومقاساته التي لازمته طوال حياته الابداعية، وفي ذلك اوضح علوان قائلاً:
لقد كان للراحل دور فعال في حقل النقد الروائي في العراق من خلال بحثيه الاكاديميين نشأة القصة العراقية للماجستير والرواية العراقية نشأتها وتطورها للدكتوراه، كما اشرف على رسائل ماجستير ودكتوراه وباعداد كثيرة خاصة في مجال اختصاصه، وقد اشرف ، أيضاً، على رسائل الشعر، والشعر العراقي بالذات.
وأكد د. علوان: لقد حرصت ان أحضر وآتي من البصرة لاقول كلمة في حياة الراحل العلمية والابداعية إذ كيف يمكن ان أكتب عن الفقيد وقد عاصرني وعاصرته، واتفقنا واختلفنا كثيراً، فقد كانت له "قناعاته وشخصيته" وكل ذلك كان مجبولاً بطيبة القلب والنبل.

د.سمير القلماوي

لقد عشت معه منذ خمسينيات القرن المنصرم وتلازمنا طوال السنوات اللاحقة في مجال البحث والدراسات والابداع، وقد أشرفت على بحثه لنيل درجة الماجستير د. سهير القلماوي، لكن الامر بعد ذلك أختلف مع بحثه لنيل درجة الدكتوراه، أذكر أن القلماوي كانت تحثه على تعلم الانكليزية، وفعلاً حين أذهب الى كلية الآداب جامعة بغداد، لم اجده في قسم اللغة العربية، بل في قسم اللغة الانكليزية على أية حال، حين ذهب الى القلماوي وسألته عن تعلمه للانكليزية وماذا فعل مع هذه اللغة، أجابها لم افعل شيئاً، رفضت القلماوي تسجيل رسالة الدكتوراه معه.

علوان يوضح علاقة الفقيد بالطاهر

وأوضح د. علي عباس علوان: لقد كانت هناك علاقة مميزة تربط الراحل عبد الاله باستاذنا المرحوم علي جواد الطاهر، ومما أذكره، أيضاً ان د. جابر عصفور وجه الينا دعوة لحضور مؤتمر عن الرواية العربية عام ١٩٩٨، في القاهرة، وحين عدنا الى الاردن أرتأيت ان ابقى في عمان واعمل في احدى جامعاتها، وحين عرضت عليه الفكرة أبى ذلك، مفضلاً العودة الى الوطن، ومنذ ذلك العام افترقنا ولم ألتق الراحل حتى وافاه الأجل.
وفي نهاية حديثه اقترح د. علوان، ان يعاد طبع كتبه ولاسيما الماجستير والدكتوراه، فهي تمثل منهجاً واضحاً في النقد.
واقترح أيضاً، أن يدرس منهجه دراسة جادة من قبل طلبة الدراسات العليا وان تخصص احدى قاعات كلية الآداب لتسمى باسمه.

نادية العزاوي:
عبد الإله أحمد... ما يغني وما يبقى

وتحدثت د. نادية غازي العزاوي قائلة:
قلت- حين بلغني نعيه- : أكان ينبغي أن ينتكس صحياً ويموت لكي نعلن له عن محبتنا ووفائنا؟
أيها الأعزاء: تأخرنا في التوقيت أكثر من ربع قرن في الأمانة وللأمانة التاريخية سبقنا اتحاد أدباء بابل بجهد حثيث للاحتفاء الحميم بالراحل قاسم عجام.
أقول: كان الأولى أن نحتفي به وبأعماله وهو يدرج بيننا قبل ان يبتلع جسده القبر، جسده فحسب، فما سيبقى من القيم الانسانية والعلمية.
حالة د. عبد الاله احمد مركبة وخاصة جداً، ونحن العراقيين لا نجيد فهم مزايا أعلامنا مدخلاً للولوج الى عوالمهم ناهيك عن محبتهم أو تقديرهم، بل على خلاف ذلك نجيد بامتياز نحن العراقيين الظنون والفهم الملتبس مدخلاً للتقاطع معهم وتبديدهم الى سبيلين- أحلاهما مر : الموت اغتراباً في الوطن، أو الموت في المنافي.
لا أدل على هذا الفهم- الملتبس السيئ الظن به من ان بحثاً ودراسة تظهر له هنا أو هناك أو حواراً معه في جريدة تقابل بردود متشنجة وتأويلات ساخرة وتلميحات نسعى الى الامعان في إقصائه والشطب على جهده.
لو كان عبد الاله في مصر أو لبنان أو المغرب- مثلاً لكان له هناك شأن آخر ونهاية أخرى غير هذه الحزينة، إن هناك يعملقون حتى أقزامهم، ويصنعون من (اللاشيء) تاريخاً وإسماً، بينما ننظر الى اعلامنا من خرم الابرة.
وكالعادة خلطنا الأمور ولم نفصل في تقييمنا له بين الشخصي والعلمي والسياسي والاكاديمي والايديولوجي، واصدرنا أحكامنا الانفعالية عليه وتركناه ينزوي منطوياً على الألم من الجحود المرتاب به وبما قدم.

صراحة وزهو بعراقيته

ولنتكاشف: نعم كان صارماً في مقاييسه، جارحاً في صراحته أحياناً لا يحسن لعبة المجاملة لا على المستوى الشخصي ولا على المستوى النقدي، نرجسياً أحياناً في بعض المواقف.
ولكنه في مقابل ذلك كله كان مثقفاً مبدئياً، وطنياً نظيفاً نزيهاً لم يساوم لحظة على تاريخه أو علمه، مزهواً بعراقيته التي جعلته لا يفكر ولو مجرد تفكير وفي اقسى حالات القطيعة والتنكر له بمغادرة مسقط رأسه وجذوره وغرسه وثماره.
كان ذلك كله، فلماذا لم ننظر الى وجهي المرآة في وقت واحد كان متمسكاً بثوابت فكرية لم يتزحزح عنها، ولكنها ليست قوالب جاهزة عنده بقدر ما هي منطلقات توصل اليها بعد استقراء متأن وتمحيص فظل مخلصاً لمعطياتها، ظل مؤمناً بعمق ظل يقرأ ويتابع ويكتب، ولكنه تقاعس – لظروف شخصية وعامة- عن النشر، فأضاع الفرصة على قرائه، واضاعها على نفسه باستكمال مشروعه النقدي، ولكنه خلف دراسات ستجد طريقها حتماً الى النشر، جزءاً من الاحتفاء المتأخر بجهده الاكاديمي التأسيسي في تاريخ القصة العراقية وحده ما سيبقى في ذاكرة الزمن.
كتب عنه استاذه الأقرب الى نفسه د. علي جواد الطاهر شهادة في ملتقى القصة الأولى في صلاح الدين عام ١٩٧٨ واعاد نشرها في كتابه (من حديث القصة والمسرحية).
١٩٨٧ (ص ٢٥٧- ٢٥٩):
"أشك في أنه كان يوماً في صفه... كان باعثه في أن يكون الاول خارج الكلية وخارج مدار تطاحن طلاب الاول هو يقرأ، يقرأ أكثر منهم، ولكنه يقرأ ما يحلو له... يقرأ ويقرأ ما يكتب وما يترجم فيبتسم ويرتاح وينتشي... وهذا يعطي الحد الأدنى لمطالب الناس، ويغنى في الحد الأعلى على نفسه... يسجل للماجستير موضوعاً في احب ميدان له وينجح نجاحاً باهراً... لأنه لم يكن دخيلاً على الميدان.
بالواقعية رؤية ومنهجاً، نظرية وتطبيقاً، كما ظل متوجساً من الشكلية المفرغة من المحتوى الاجتماعي في بعض المناهج النقدية الجديدة، متوجساً من تهالك الشباب على مقولاتها المجتزأة بلا دراسة او دراسة معمقة لها في مصادرها الاصلية مكتفية بالأخذ المشوه المبتور لها من خلال الترجمات.
انها هواجس لا تدل على قصر نظر بل على غيرة نبيلة على المعرفي والاخلاقي غيرة على الرصانة والاصالة امام السطحية والاستهلاك والاستسهال المتعاظم في الساحة الثقافية.
ظلت القصة والقصة العراقية خاصة شغله الشاغل يتابعها عن قرب ويلاحق آخر اصداراتها، ويشخص اسباب تعرجاتها صعودا وهبوطا رابطا ذلك بطبيعة مسارات المجتمع العراقي وما طرأ من تحولات على خلفية الصراعات والتقاطعات الايديولوجية، كل ذلك برؤية نقدية صافية لم تكن عن رصد ظواهر القصة الموضوعية وتجلياتها الفنية وعيوبها وان ارتباط ذلك بامزجة الاجيال واختلاف مقاصدهم.
وتحدث د.داود سلوم مستذكرا: يبدو ان دعوتي كانت تكملة نصاب، ففي يوم الاحد اتصل بي احدهم يسألني: هل بلغت بالدعوة؟ فقلت اية دعوة قال: اقامة ذكرى لعبد الاله احمد فان الاتحاد كلف احدهم للاتصال بك ليبلغك بها فقلت: لم يتصل احد. فقال انها دعوة ندوة لذكرى الاستاذ وانك ستكون اول من سيتحدث وسيكون حاضرا فيها الدكتور علي عباس علوان اذ فرحت بوجودي مع الدكتور علي لاجدد رؤيته فلم افرح بكوني اول او آخر، متكلم الذي اتصل تصور انه يداعب غرور انسان يرغب ولا يرهب سئم الحياة قبل ان يسأم تكاليفها كدت ارفض لولا ان الندوة عن عبد الاله احمد وكان زميلا على مدى اربعين عاما انا اشبه زمالة الجيل الواحد ببناء ضخم او قلعة لها قلب واجنحة وحين تسقط عوامل الطبيعة العاتية احد الاجنحة فان البناية تفقد بعض اركانها فيصيب الحزن من رآها ولعل هذا ما اصاب البحتري نظر الى المدائن لان القلاع تموت لتبقى الاحلام التي تراوده طوال حياته.
كانت تربية عبد الاله النفسية قد خضعت تكوينها الى مدرسة ملتزمة تتكون من مجموعة الذين وصلوا الى كلية الاداب عام ١٩٥٨ د.علي جواد الطاهر وصلاح خالص والاستاذ مهدي المخزومي رحمهم الله جميعاً ويبدو ان هذه المدرسة قد تخلت بمرور الزمن عن صلابتها وماشت الظروف ولكن عبد الاله بقي السندبانة التي لم ترد ان تنحني فكان شديدا في مثله وشديدا مع طلابه ومع الاساتذة الذين يعمل معهم ولم ينصحه الذين اخذوا على عاتقهم تربيته النفسية ان يبدل من طراز فكره ويتخفف من بعض مواقفه فوجد نفسه على شيء من الوحدة احيانا وان كنا حوله حين نلتقي لنجتاح الزمن الذي مضى ونعود بالخيال الى ما نريد ان يكون عليه ذلك الزمن وهو لا يكون وتفرقنا فانا في جامعة اخرى ومجيد بكتاش في وزارة الاوقاف وعبد الاله بقي مرابطا وحده يمزق غضبه حياته وعلاقاته الاجتماعية.
ادركت ان عبد الاله يريد ان يخرج من زي الفتى الذي حارب الطواحين الى زي المواطن الذي يريد ان يعيش في راحة ويهرب من جد الحياة الى هزلها فقلت له: وما الذي تريده مني؟ هل تريد مني ان انضم اليكم؟ فقال: اريد منك الان قائمة بكل كتب الادب والنوادر والحكايات واملیت عليه كتب الجاحظ وابن الجوزي وغيرهما. انا الان اتكلم عن الركن الذي تهدم فعلا من وقت الزمالة التي دامت اربعين سنة وحين سمعت بوفاة عبد الاله سألت نفسي: هل يموت الجسد ويتحلل ويستحيل محض تراب؟ ماذا عن الفكر؟ وماذا عن الضحكة والابتسامة وماذا عن العرق المتناثر على جبينه في حر ذلك اليوم من تموز وماذا عن الدم الذي كان يترقرق ويمور في وجنتيه في ذلك اليوم؟ وماذا عن الروح؟ وماذا عن الاحلام؟ وماذا... أنا؟ عاصفة اخرى لتوقع جناحي او الجناح المجاور لي؟

د.مالك المطلبي.. عبد الاله احمد مناقش مريع

وعن تجربة الراحل عبد الاله احمد استذكر د.مالك المطلبي قائلا: في الحقيقة كنت اجده غير راضٍ عن أي شيء.. في البحث كان يشكل مع رديفه باسم عبد الحميد حمودي ارشيفين مهمين للقصة، لكن عبد الاله حاول ان يخرج من الارشيفية والاكاديمية لكنه، كما ارى لم ينجح.
واضاف المطلبي: انه عندما كان يكتب نقداً في القضايا السردية، لم يكن مرتاحا وارى ان الذي نجح فيه عبد الاله هو في الجانب الاكاديمي فهو مناقش مريع ويعطي للمناقشة حقها.
في الحقيقة ان عبد الاله احمد، هو حرب داخلية، بل هو كائن مستعر بل عاش داخل القسوة يخترقها، فلم يكن يأكل او ينام، فكان متوقد الحياة.
ودعا المطلبي في نهاية كلمته ان يهتم المعنيون بآثار الراحل وطبعها ومناقشتها بعد الخروج من هذه القاعة.

فاضل ثامر: دافع عن مفهوم الواقعية الاشتراكية بعيدا عن الادلجة

وقبل اختتام الجلسة تحدث الناقد فاضل ثامر عن الراحل د.عبد الاله احمد بالقول: اذكر انني دخلت مع الراحل الى كلية الاداب عام ١٩٥٧ ومنذ ذلك العام وحتى رحيله لم تنقطع علاقتنا ولم يصبها الفتور، كنت اتابع كل اعماله ومؤلفاته ودراساته في حقل النقد القصصي وكذلك حضوره الفاعل في الدرس الاكاديمي العراقي المميز.
وقال ثامر: كان الراحل دائم الشعور انه مطارد لكن ذلك عزز اعتداده بنفسه وبخاصة في الكثير من المناقشات السياسية وبقي محافظا على استقلاليته.. ولم يتقبل منهجا ايديولوجيا.
واوضح الناقد فاضل ثامر دافع د. عبد الاله احمد عن مفهوم الواقعية الاشتراكية بعيدا عن الادلجة لكنه في الوقت ذاته كان رائيا وكاشفا للكثير من المشكلات التي عاشها الوطن.

الراحل عبد الاله احمد اثناء مشاركته في اسبوع المدى الثقافي الرابع